(مقال مراجعة موضوع)
الثقافة الاستراتيجية الاصول النظرية ومقارباتها

للباحث أ.د علي حسين حميد والباحث علي ارحيم عبدالله
مجلة قضايا سياسية/كلية العلوم السياسية/جامعة النهرين/عدد78/2024
https://pissue.iq/index.php/pissue/article/view/623

هدى عبد الحسين فياض ناصر
جامعة النهرين/ كلية العلوم السياسية
huda.abdeh@nahrainuniv.edu.iq

يجسد مفهوم الثقافة الاستراتيجية جوهر السلوك بين الدول إذ لا تُبنى القرارات الدولية على المصالح المادية وحدها، بل تتشكل عبر منظومة من القيم والتجارب التاريخية والرؤى الفكرية التي تحدد كيف تفهم الدولة أمنها وكيف تتعامل مع الآخرين , وبذلك فأن اختيار الثقافة الاستراتيجية موضوعًا لكتابة مقال يعكس وعيًا بأهمية هذا المفهوم في حقل العلاقات الدولية والدراسات الأمنية خاصة الدراسات الاستراتيجية.

قدم المقال الباحثان أ.د علي حسن حميد والباحث علي ارحيم عبد الله, وبما ان الموضوع حديث نسبيا ومطروح في الادبيات الغربية مما يعني ان الباحثان يواكبان التطور المعاصر في النظريات ويشرح هذ المقال التطور النظري لمفهوم الثقافة الاستراتيجية وقد احسن الباحثان بالاشارة الى البدايات التاريخية مع سنايدر اذ ان جوهر الفكرة هي ان الولايات المتحدة كانت تفترض ان الاتحاد السوفيتي يفكر في الردع النووي ويضع استراتيجيته بنفس الطريقة التي تفكر بها, لكن سنايدر اشار ان هذا خطأ لان السوفيت لديهم ثقافة استراتيجية مختلفة تعكس بيئتهم وايديولوجييتهم وتجربتهم التاريخية .

كما يلاحظ ان هنالك ترابط منطقي في منهجية البحث بين (الاهمية والاهداف والاشكالية والفرضية) فقد اوضحت الفرضية الجدل بين السببية والسياق واكدت على ترابط الثقافة والسلوك في صنع القرار الاستراتيجي وهي تربط بين فشل الواقعية الجديدة وظهور الثقافة الاستراتيجية كما تربط بين ظهور الاطار بتجربة تاريخية ملموسة (الحرب الباردة) مما يعطيها سياقا وموثوقية تفسيرية تحاول ملئ ثغرة تفسيرية خصوصا للقرارات التي تفسر القدرات المادية.

يبرز الباحثان جملة من التعريفات والمقاربات المتعددة لمفهوم الثقافة الاستراتيجية، مستندًا إلى أعمال سنايدر، وجونسون، وكين بوت، وكيري، ولونغهرست ويقدم هذه التعريفات ضمن إطار فكري موحد يُسهم في تفسير كيفية إدراك صانع القرار لبيئته الأمنية، وتقييمه للخصم والتهديد، واختيار البدائل الاستراتيجية الملائمة ويكمن أهمية هذا التنوع في أنه يمنح شمولية أكبر للنظرية، ويتيح فهمًا أعمق لتفاعلات القرار الاستراتيجي بين المحددات التاريخية والسياسية والثقافية والاجتماعية.

ان **الثقافة الاستراتيجية قد ظهرت** لأول مرة في مجال الدراسات الأمنية خلال سبعينيات القرن العشرين مع أعمال **جاك سنايدر** في مؤسسة "راند"، حيث حذّر من خطورة افتراض أن للسوفيت نفس القيم والمعتقدات

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

الاستراتيجية الأمريكية, ورأى أن للسوفيت **ثقافة استراتيجية خاصة** تشكلت عبر تجاربهم التاريخية في الحروب، وأثّرت في نظرتهم لقضايا الأمن, وقد انتقلت هذه الثقافة عبر **التنشئة الاجتماعية** إلى الأجيال اللاحقة من صناع القرار، مؤثرة في النقاشات الوطنية وموجهة للخيارات السياسية.[1]

ويبرز الباحثان من خلال عرضهما لأدبيات **الثقافة الاستراتيجية** ما يميز هذه النظرية، وهو الجدل المستمر بين أجيالها الثلاثة حول أسئلة جوهرية، منها: هل تشكل الثقافة الاستراتيجية **سياقًا يوجّه السلوك** أم أنها **سبب مباشر له؟** وهل يُعد السلوك الاستراتيجي **تابعًا للثقافة** أم مستقلًا عنها؟ ومن هذا المنطلق، يسلط الباحثان الضوء على **تطور النظرية عبر أجيالها المختلفة**، موضحًا كيف تطورت المناقشات النظرية بين المنظرين، وكيف أثرت هذه النقاشات في فهم العلاقة بين الثقافة والسلوك في صناعة القرار الاستراتيجي.

مثل الباحثان الجيل الاول من الثقافة الاستراتيجية كمحطة تأسيسية في تطور هذا الحقل النظري اذ يبرز النقلة التي احدثها جيل السبعينيات في التفكير الاستراتيجي من التركيز الأحادي على الأدوات العسكرية إلى استحضار البعد الاجتماعي والثقافي باعتباره محدداً لا يقل أهمية في تشكيل السلوك الدولي, فقد أبانت الدراسات الأولى – وعلى رأسها أعمال جاك سنايدر – أن فهم الاستراتيجيات الكبرى، وبخاصة النووية منها، لا يتحقق من خلال الحسابات التقنية أو التوازنات العددية فقط، بل من خلال ما تحمله المجتمعات من **تصورات راسخة، وقيم جمعية، وخبرات تاريخية** تحدد طريقة استيعابها للتهديدات والتعامل معها, ويستنتج ان الاستراتيجية هي ليست نتيجة حساب مادي بحت بل تتشكل داخل سياق ثقافي مبني على افتراضات مؤسسية وتاريخية توجه التفكير والسلوك وهي عدسة مكملة تفسر لماذا تتصرف الدولة بطرق قد تبدو غير متنبأ بها, مما يلاحظ ان النص يبرز جدلا نظريا اساسيا هل الثقافة سبب مباشر للسلوم ام انها سياق يهيئ ويؤثر على العلاقة بين المتغيرات والقرار, ويوضح النص ان الاستراتيجية هي ليست فكرة احادية, وتبرز قيمة هذا الطرح في أنه **أدخل مستويات جديدة من التحليل** إلى مجال الدراسات الاستراتيجية: المستوى البيئي المرتبط بالجغرافيا والتاريخ، المستوى المجتمعي الذي يعكس الهياكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وأخيراً المستوى الجزئي الذي يتمثل في المؤسسات العسكرية وعلاقاتها المدنية هذا التعدد أتاح فهماً أكثر شمولية للفوارق بين الثقافات الاستراتيجية للدول، كما في التمييز بين المنظور الأمريكي والسوفييتي للحرب النووية.

ويكشف أن الاستراتيجية ليست نتاجاً ميكانيكياً لمعادلات القوة فحسب، بل هي انعكاس لموروثات وقيم ورؤى جماعية تحدد الإطار الذي تُبنى فيه الخيارات الأمنية, ومع ذلك فإن الباحثان يفتحان الباب أيضاً أمام أسئلة نقدية لاحقة أبرزها: إلى أي مدى يمكن للثقافة الاستراتيجية أن تفسر السلوك الفعلي للدول؟ وهل تشكل سبباً محدداً أم مجرد سياق يحيط بالفعل الاستراتيجي؟ معتقدا ان الافكار والسلوك الاستراتيجي هو نتاج للبنية الاجتماعية والثقافية اكثر من كونه مجرد حسابات عسكرية وعليه ان الباحثان يوضحان ان الجيل الاول قد قدم تحولا معرفيا مهما في الدراسات الاستراتيجية من التركيز على الأدوات العسكرية البحتة إلى دمج

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

https://doi.org/10.61353/ma.0210001

البعد الاجتماعي—الثقافي و تكمن قوته في أنه يربط بين **التراث التاريخي**، **الثقافة العسكرية**، **ودور الجيش** في صنع السياسة كما أنه قدّم مستويات تحليل متكاملة (البيئة – المجتمع – المؤسسة العسكرية) لفهم السلوك الاستراتيجي.

ويتناول الباحثان **طروحات الجيل الثاني من منظّري الثقافة الاستراتيجية**، والذي تبلور خلال عقدي الثمانينات والتسعينات، بوصفه استجابة نقدية لمحدودية الجيل الأول وعجز الواقعية الجديدة عن تفسير كثير من المعضلات الاستراتيجية, ويبرز في هذا السياق إسهام **إسحاق كلاين** الذي شكل علامة بارزة في هذا الجيل عبر مقاله "نظرية الثقافة الاستراتيجية"، حيث قدم نقداً لغياب إطار استراتيجي متماسك بعد كلاوزفيتز، مؤكداً أن صياغة الاستراتيجيات لا يمكن أن تقتصر على مبادئ منطقية أو سياسات وطنية، بل ينبغي أن تراعي **البنية الثقافية والاستراتيجية الكامنة داخل المؤسسات العسكرية والدولة ككل**, ويعرض الباحثان رؤية كلاين أن **الثقافة الاستراتيجية** ليست مجرد انعكاس لسياسات راهنة، بل هي مزيج من المعتقدات والمواقف التي تتطور تاريخياً داخل الجيش والمجتمع، وتحدد كيفية توظيف القوة العسكرية لتحقيق الأهداف السياسية, ومن هنا فإن لكل دولة **تفردها الخاص** المستمد من تاريخها وجغرافيتها وثقافتها وسياساتها واقتصادها، وهو ما يجعل ثقافتها الاستراتيجية مغايرة لغيرها, ويضع الباحثان اشكالية محورية لدى الجيل الثاني، مع اعترافه بقيمة هذا المنظور وهي :**الفجوة بين الخطاب والسلوك**, فهناك دوماً مسافة بين ما يقوله القادة وما يقومون به فعلياً، وبين الرمزية التي تُنتجها النخب السياسية والعسكرية وبين المصالح الفعلية التي تتحكم في القرارات, فالثقافة الاستراتيجية هنا تُستَخدم أحياناً كأداة للهيمنة ولإضفاء الشرعية على خيارات معينة، إذ يمكن التلاعب بها لخدمة ثلاث وظائف رئيسية وهي: دعم مصالح محددة, وتبرير كفاءة صانعي القرار السياسي, وتوجيه مسار النقاش الاستراتيجي. (2)

ومع ذلك لا ينفي الباحثان وجود **جدلية بين الثقافة الاستراتيجية والسلوك**، إذ تظل النخب جزءاً من السياق الثقافي الذي تنتجه وتتفاعل معه، مما يضع حدوداً موضوعية على خياراتها حتى وإن مارست التلاعب الرمزي, وهذا يفتح المجال لاختلافات واضحة بين الثقافات الاستراتيجية للدول، بما ينعكس على سلوكها الاستراتيجي وإن كانت بدرجات متفاوتة.

وبصورة عامة، يحدد الباحثان منظّري الثقافة الاستراتيجية يمثّل **مرحلة انتقالية أكثر نقدية وتعقيداً**, إذ تجاوز النظرة التبسيطية للجيل الأول، وكشف عن إشكالية العلاقة بين الخطاب والسلوك، وبين الثقافة كمنظومة رمزية والسلوك كفعل واقعي محكوم بالمصالح, وبهذا فإن إسهاماته لم تقتصر على إثراء النقاش النظري، بل أيضاً على **فتح مساحات أوسع لفهم كيفية تشكل الاستراتيجيات وصياغتها ضمن تفاعلات معقّدة بين الثقافة والسلطة والمصالح**.

مجلة المعهد، مجلة علمية محكمة مفتوحة المصدر، ذات الرقم المعياري (ISSN 2518-5519) و(eISSN 3005-3587)
هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

ويعرض الباحثان **الجيل الثالث من خلال منظري الثقافة الاستراتيجية**، الذي ظهر في تسعينيات القرن العشرين، ويُعدّ أليستير جونستون Alastair Johnston وكولن جراي Colin S. Gray أبرز ممثليه، حيث ركز هذا الجيل على **النقد الممنهج والتحديات المنهجية** التي واجهتها إصدارات الجيلين السابقين, ويبرز الباحثان عدة نقاط محورية تعكس تطور الفكر في هذا المجال:

أولاً: **الجدل بين السياق والسلوك**، اي بين جراي وجونستون الذي يتمحور حول ما إذا كانت الثقافة الإستراتيجية هي جزء من السلوك أم متغير مستقل، وهو ما دفع الجيل الثالث إلى تفكيك افتراضات الحتمية الثقافية وإدماج متغيرات جديدة لفهم سلوك الدول.

ثانياً: يبرز النص **التغيرات في النظام الدولي بعد انهيار الثنائية القطبية**، حيث أصبحت الدراسات أكثر تركيزاً على **الانتشار النووي، الإرهاب، الجماعات المسلحة، واستخدام أسلحة الدمار الشامل** في هذا الإطار، اعتمد الجيل الثالث على **المنهجية التكوينية والمقاربة المعيارية**، معتبرين أن تحليل السلوك الاستراتيجي لا يمكن أن يعتمد فقط على العناصر المادية أو على نموذج الواقعية الجديدة، بل يجب أن يأخذ بعين الاعتبار **الثقافة، القيم، الهوية الوطنية، والخبرات الحديثة**.

ثالثاً: يشير النص إلى **نقاط القوة المميزة للجيل الثالث** مقارنة بالجيلين السابقين:

1. يتجنب الجيل الثالث الحتمية المطلقة للجيل الأول، معتبراً الثقافة متغيرة بتأثير الخبرات الحديثة والسياقات المحلية عبر الدراسات الطولية والمقطعية.
2. يلتزم الجيل الثالث باختبار النظريات المتنافسة بين الواقعية والمقاربات الثقافية، بما يعزز الصرامة المنهجية ويكشف ضعف الجيل الأول.
3. يعرف الجيل الثالث الثقافة كعدسة توجه خيارات صانعي القرار، مع الإقرار بتفاوت تأثيرها تبعاً لمدى تمثيل الأفراد لها.

أخيراً يبين الباحثان أن الجيل الثالث **لم يلغِ مساهمات الجيلين السابقين**، بل أعاد صياغتها في إطار أكثر مرونة ودقة منهجية، مع إدراج متغيرات حديثة وأدوات تحليل تمكن الباحثين من فهم العلاقة بين الثقافة والسلوك بعمق أكبر, كما يظهر الجيل الثالث قدرة على معالجة **نقاط الإبهام والمنهجية المحدودة** التي عانت منها النظريات السابقة، مما يجعله مرحلة انتقالية **تجمع بين النقد، التطبيق، والمرونة التحليلية**, وبصورة عامة يقدم الباحثان رؤية متكاملة للجيل الثالث، موضحاً **المسار التاريخي لتطور النظرية، التحديات المنهجية، والآليات الجديدة لتحليل الثقافة والسلوك**، ويجعل من هذا الجيل قاعدة صلبة لأي دراسة تحليلية مستقبلية في الثقافة الاستراتيجية والأمن الدولي.

ومن خلال مراجعتنا نلاحظ اهمية مفهوم الثقافة الاستراتيجية في دراسة السلوك الاستراتيجي للدول، على الرغم من الفجوات التي خلّفها النهج الواقعي البنيوي والواقعية الجديدة في تفسير سلوك الدول, و أن بروز

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

الثقافة الاستراتيجية جاء نتيجة عدم قدرة النظريات الواقعية على تفسير الاختلافات في الأنماط السلوكية بين الأمم، خاصة في الحالات الاستثنائية التي تقع خارج نطاق النموذج العقلاني العام. (3)

و يوضح الباحثان أن الثقافة الاستراتيجية تتعلق بتأثير البعد الثقافي على الاستراتيجية الوطنية، حيث تؤكد أن الخصائص الفريدة لكل دولة من تاريخ، وجغرافيا، وثقافة، وهوية وطنية تنعكس على خيارات صنع القرار، مما يجعل هذه الخيارات تختلف عن التنبؤات التي تقدمها النماذج الواقعية التقليدية, وأن هذه الثقافة تمكن من فهم سلوك الدول في استخدام أدوات غير تقليدية، وهي جوانب لم تُدرج في التحليلات الواقعية الجديدة، الامر الذي دفع بعض الواقعيين الكلاسيكيين الجدد إلى إعادة النظر في تفسيراتهم لسلوك الدولة.

ويشير الباحثان إلى نقد الواقعية الجديدة، مبينًا أنها تفترض الدول كـ"وحدات غير متميزة وظيفياً" تسعى لتعظيم منفعتها وفق معايير القوة والموارد، مع تجاهل التاريخ، القيم، والهوية الوطنية، وهو ما أدى إلى فشل هذه النظريات في تفسير أحداث تاريخية بارزة مثل انهيار الاتحاد السوفييتي، أو عدم اتخاذ ألمانيا واليابان مواقف عدوانية متوقعة وفق المنطق الواقعي الجديد.

كما يحلل الباحثان جهود الثقافة الاستراتيجية لسد الثغرات الواقعية، عبر دمج عناصر التاريخ، التقاليد الاستراتيجية، المعتقدات، المواقف، الهوية الوطنية، والبيئة الخارجية، لتقديم تحليل أكثر دقة لسلوك الدول. ويستشهد بنقد جون ج. ميرشايمر للواقعية البنيوية، مشيرًا إلى أن النظر إلى القوى العظمى فقط ككرات بلياردو متشابهة في الفعل يهمش التحيزات والمعتقدات الداخلية للدول، والتي تؤثر على كيفية إدراكها للأحداث الدولية وصنع القرار الاستراتيجي.

أخيرًا، يبرز الباحثان التعقيد المرتبط بالعقلانية في نموذج الواقعية، مشيرًا إلى أن الدول ليست مجرد وحدات عقلانية بسيطة، بل تتخذ قرارات استراتيجية بناءً على فهمها لتفضيلات وسلوكيات الدول الأخرى، وهو ما يعكس تعقيد عملية صنع القرار على مستوى الدولة، ويؤكد ضرورة الاعتماد على الثقافة الاستراتيجية لفهم هذه الفروق الدقيقة.

ويتناول الباحثان المقارنة النقدية بين الواقعية الجديدة والثقافة الاستراتيجية في تفسير سلوك الدول، موضحًا كيف فشلت النظريات الواقعية التقليدية في تقديم تفسيرات دقيقة لبعض الظواهر الاستراتيجية الحديثة، خاصة بعد نهاية الحرب الباردة, ويستخدم الباحثان أمثلة تاريخية معاصرة مثل السياسة الأمنية الألمانية بعد 1994، موضحًا كيف أن التغييرات في دور القوات المسلحة الألمانية وسياستها الأمنية لم تُفسَّر بشكل كامل ضمن النموذج الواقعي الجديد، الذي يعتمد على معايير موضوعية كالأمن الجغرافي والقدرات العسكرية والتهديدات، ويتجاهل السياق المحلي، والهوية الوطنية، والعوامل الثقافية والاجتماعية المعقدة التي تؤثر على صنع القرار.

وعليه يوضح الباحثان أن المدرسة الواقعية الجديدة تفترض أن الدول وحدات عقلانية غير متميزة وظيفيًا، تسعى لتعظيم مصالحها عبر القوة والقدرات المادية، بينما النهج الثقافي الاستراتيجي يرى أن لكل دولة خصائص

هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0

https://doi.org/10.61353/ma.0210001

فريدة متجذرة في التاريخ، الثقافة، المعتقدات، الهوية الوطنية، والتجارب السياسية والاجتماعية، وأن هذه الخصائص تشكّل إطارًا لفهم السلوك الاستراتيجي وتحديد الخيارات المتاحة لصانعي القرار, بمعنى آخر الثقافة الاستراتيجية لا تحدد فقط ما يمكن أن تفعله الدولة باستخدام القوة المسلحة، بل توفر أيضًا سياقًا تفسيرياً يوضح لماذا تختار الدولة مسارًا معينًا دون غيره، وكيفية تقييم الأحداث الدولية وتفاعلها معها.

ومن خلال مراجعتنا نجد أن هناك جدلًا بين أنصار المدرستين حول مدى قدرة الثقافة الاستراتيجية على استبدال أو دعم الواقعية الجديدة, ففي حين يرى الواقعيون الجدد أن الثقافة مجرد تكملة تفسيرية لا تتجاوز دورها الثانوي، يرفض أنصار الثقافة الاستراتيجية هذا الطرح، معتبرين أن المتغيرات الثقافية ليست ثانوية بل أساسية لتفسير السلوك الاستراتيجي للدول، خصوصًا في الحالات التي تفشل فيها المقاربات الواقعية في تقديم تفسير مقنع[(4)], وان الثقافة الاستراتيجية توفر إطارًا تنبؤيًا أكثر دقة، لأنها تأخذ في الاعتبار مجموعة من العوامل التراكمية والمعقدة، مثل التاريخ الوطني، التفاعلات الاجتماعية، المعتقدات الجمعية، والبيئة السياسية والثقافية، بما يتيح فهمًا أعمق للخيارات الاستراتيجية للدولة, وأن العلاقة بين الثقافة والسلوك ليست علاقة سبب ونتيجة صارمة، بل سياق متصل ومترابط، يمكن من خلاله تشخيص سلوك الدولة بدقة أكبر مقارنة بما توفره النظريات الواقعية الجديدة. [(5)]

في الخاتمة، يخلص الباحثان إلى أن الثقافة الاستراتيجية تمثل أداة تحليلية أكثر اكتمالًا ودقة لفهم سلوك الدول في الشؤون الدولية، وأنها تتجاوز القيود التي تفرضها النظريات الواقعية المهيمنة، مؤكدة على ضرورة دمج العوامل الثقافية مع العوامل المادية في التحليل الاستراتيجي لضمان تفسير متوازن وشامل لسلوك الدولة.

---

[1] العمراني، آسيا .(2019–2020) *.الثقافة الاستراتيجية والأمن*، محاضرات مقدمة لطلبة الدراسات العليا، كلية العلوم السياسية والدراسات الدولية، قسم الدراسات الدولية، ص31.
الرابط: https://dspace.univ-alger3.dz/jspui/bitstream/123456789/6349/1/%D9%85%D8%B7.317.pdf

[2] عبد الأمير، حسين باسم .(2025) *.الثقافة الاستراتيجية وسياسة الأمن القومي* .مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، 5(8)، 287.

[3] Desch, M. C. (1998). *Culture clash: Assessing the importance of ideas in security studies*. International Security, MIT Press, p. 87.

[4] الشمري، أحمد عبد الله. (2010). الثقافة الاستراتيجية: دراسة مقارنة بين المدرسة الواقعية والمدرسة الثقافية. دار الفكر العربي، ص61.

[5] Katzenstein, P. J. (1997). The culture of national security: Norms and identity in world politics. Columbia University Press, p. 26..

مجلة المعهد، مجلة علمية محكمة مفتوحة المصدر، ذات الرقم المعياري (ISSN 2518-5519) و(eISSN 3005-3587)
هذا العمل مرخص بموجب الاسناد/ غير تجاري/ 4.0 دولي. CC BY-NC 4.0